

امرأة من السماء د. ممدوح المنير



امرأة عادية كانت تعيش يوما ما بيننا ، ربما لا يلتفت إليها أحد و لا يذكرها الناس كثيرا أو قليلا ، لكنها عند موتها حكّت لنا قصتها البليغة دون أن تنطق !! بكلمة واحدة

منذ صغرها فائزة و هذا هو اسمها تعلق قلبها بالسيدة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها و زينت حجرتها بكلمتها الشهيرة لابنها عبد الله بن الزبير لما تخاذل الناس عن نصرته فقالت له رضي الله عنها: تقوّي من عزيمة في حديث طويل كان آخره
كم خلودك في الدنيا؟ القتل أحسن، والله لضربة بالسيف في عزيّ، أحب إليّ)

من ضربة بسوط في ذلّ، قال: إني أخاف إن قتلوني أن يمثلوا بي، قالت: يا بني (إن الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها)

فشاهد هذه العبارة ابن عمها المهندس صبحي ندا و كان طالبا في كلية الهندسة وقتها بمصر و قد طلب منه عمه ان يذاكر لابنته فائزة الطالبة بالمرحلة الابتدائية . بعض الدروس .

فسألها عن العبارة و قائلها و لماذا تعلقها في غرفتها ؟ فأخبرته بتعلقها بالسيدة أسماء و حبها الشديد لها وأنها تريد ان تكون مثلها في . الحق و الدفاع عنه و التضحية في سبيل الله حتى و لو بولدها فأعجب صبحي بها فقد وجد ضالته في (فاضطر بذات الدين تربت يداك) و انتظر حتى بلغت مبلغ النساء و طلبها من أبيها و تزوجها و سافرت معه إلى . السعودية بعد ان أصبح أستاذا بجامعة الملك عبدالعزيز على ما أتذكر حتى الآن تبدو القصة عادية امرأة صالحة تحب السيدة أسماء و أعجب بها ابن عمها و تزوجها و سافرت معه .

يحكي المهندس صبحي أن حبها للسيدة أسماء لم يكن عاديا فقد تتبعته أثرها و لم تترك كتابا أو محاضرة عنها إلا و حفظتها بل بلغ بها التعلق أنه كان عائدا من صلاة الفجر في السعودية فوجدها تغسل سيارته !! ، فسألها مندهشا عما حملها على ذلك ، فقالت له إن أسماء كانت تغسل حصان زوجها سيدنا الزبير ، فأرادت الاقتداء بها ، فقال لها هذا أيام الصحابة الآن هذا فعل الرجال، وسينكر . !! عليك الجيران ، فقالت له ما فعلته أسماء سأفعله و أذن لها على ألا تعيدها



و وقت حرب العاشر من رمضان أو السادس من أكتوبر في مصر و كانت
صیحات الله أكبر تجلجل من أصوات الجنود في المعركة ، فلما علمت بذلك
. كان الاختبار الأهم لأي مدّعي للحب ، التضحیة
فطلبت من زوجها أن يتبرع بكل ما جمعه من مال للمجهود الحربي و لم تتركه
حتى فعل و لم تكتفي بذلك بل أقنعت ببيع أثاث المنزل كاملا عدا المراتب التي
!! ينامون عليها و أولادها و التبرع بثمنه للحرب كذلك ، وقد كان
و يستمر التعلق و يستمر الحب ، لقد اختارت فایزة هدفها الوحيد في حياتها هو
دخول الجنة و سبيلها في ذلك الاقتداء بالسيدة أسماء فركزت في هدفها فكانت
. الآخرة همّها و شغلها حتى مرضت مرض الموت و حجزت بالمستشفى
و تحلق حولها زوجها و أبناءها و بينما هم كذلك جاءت لزيارتها امرأة عجوز
عرفت بنفسها أنها والدّة رئیس الجامعة التي يعمل فيها زوجها فتركوها معها و
. انصرفوا احتراماً لها و لم يمض وقت طويل حتى فاضت روحها إلى بارئها
ماتت المرأة الصالحة و بكى زوجها و أبناءها و لما غسلوها و كفّنها و
جهزوها للذهاب بها إلى المقابر ، جاء رئیس الجامعة للمهندس صبحي قائلاً:
دع لي قيادة السيارة فوضعك لا يسمح بقيادتها و خرجوا خارج المدينة التي
. يقطنون بها لدفنها و الطريق طويل بالسيارات المشاركة في الجنازة
حتى وجد رئیس الجامعة يسير بهم في طريق غير الطريق المعتاد للمقابر فلما
استفسر منه زوجها عن أي طريق يسلكون ؟ قال له إن عائلته – رئیس الجامعة
!!- قد قررت دفن زوجتك رحمها الله في مقابرها الخاصة فقال و له أين هي ؟



. فقال له أصبر و ستعرف بعد قليل

و بينما هم في الطريق تعطلت السيارة التي تحمل الجثمان أمام أحد المساجد ، فقال زوجها لرئيس الجامعة سبحان الله هذا المسجد الذي كنا نصلي و نرتاح . !! فيه أثناء الطريق للمدينة

فطلب رئيس الجامعة من الموكب التوقف و ترحلوا جميعا و صلوا في المسجد ركعتين إكراما لسنة هذه المرأة الصالحة ثم قال رئيس الجامعة للمهندس صبحي ، زوجتك منذ قدمت إلى السعودية و هي تبحث و تتبع نسل السيدة أسماء رضي الله عنها و عندما علمت أننا من نسلها تعرفت علينا و تزاورت مع نساءنا فلما مرضت مرضها الأخير و كنا قد علمنا مدى تعلقها بها وعدتها أُمي أن تدفنها في مقابر العائلة بالبقيع و نحن الآن في الطريق إلى المدينة

فبكى المهندس صبحي فرحا لزوجته وحسن خاتمتها و كبر الجمع و لم يرجع أحد منهم رغم طول المسافة حتى وصلوا البقيع و تقدم صاحبنا و فتح قبر السيدة أسماء بنت ابي بكر رضي الله عنها و نزل فيه و قال للمهندس لم نفتح القبر لأحدٍ قبلها .

و ناوله الجثمان لتدفن في نفس قبر السيدة أسماء رضي الله عنها و لما انتهى كبر و تهلل وجه قائلا و الله ان رائحة المسك تفوح منها و النور يشع من جبهتها ابشر يا مهندس صبحي زوجتك بإذن الله في رضوان الله و في صحبة حبيبة .قلبها السيدة أسماء رضي الله عنها

و هكذا قال المصطفى صلى الله عليه و سلم (يحشر المرء مع من أحب)



عاشت حياتها تحب السيدة أسماء و صدقت في حبها و كانت الآخرة هي شغلها
الشاغل و كان رضى الله عنها هي بوصلة حياتها التي تتحرك وفقها فكانت
. نهايتها المشرقة باذن الله ولا نزكي على الله أحدا و هو حسيبها
هذه القصة الحقيقية رواها المهندس صبحي رحمه الله في كتاب أسماه عاشقة
ذات النطاقين يحكي فيه قصة زوجته فايذة وعاش رحمه الله بمدينة طنطا بدلتا
. مصر حتى توفاه الله أواخر القرن الماضي
هذه القصة تذكرة لنفسي أولا و لمن يعيش في زمن اللهاث نعم اللهاث ، الجري
حتى تنقطع الأنفاس وراء الدنيا وزينتها من أموال و أولاد ومساكن تروضونها و
. تجارة نخشى كسادها
و الله إن الحياة في سبيل الله قد تكون متعبة و لكنها هنيئة مربحة ، فإلى كل
من تاهت بوصلته و انحرفت غايته و توهم أن الدنيا هي الغاية ، الدنيا بما فيها
سراب سرعان ما ينقشع و الآخرة هي الحقيقة الوحيدة الباقية لمن كان له قلب
. أو ألقى السمع و هو شهيد